



عمى البطولة

يمكن الجزم منذ الآن إننا ستفتقد الكثير عندما تعود سوريا دولة طبيعية، أي دولة شفافة لا تتنشى ببطولات لا وجود لها ولا تختبئ وراء نشوتها. ولعل أكثر ما ستفتقد في هذا السياق هو هذا الجهد المؤوب الذي تبذله وكالة "سانا" يومياً، إلى جانب صحف دمشق الرسمية الثلاثة، للعثور على إنجازات خارقة وتفسير كل شيء وعكسه بها. الثمرة الأخيرة لهذا الجهد، الذي يستحق وحده صفة البطولي، هو التحليل الذي قدمته "سانا" لقرار قانون "محاسبة سوريا واستعادة لبنان سيادته"، فعندما ان العقوبات تفرض على سوريا "بسبب دعمها لمقاومة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي".

ليس من أحد يشك في ان لولب الحركة التي آلت إلى اقرار هذا القانون في كلا غرفتي الكونغرس الأميركي هو جمع من السياسيين الأميركيين الأكثر التصاقاً بالمصالح الإسرائيلي، بل ان اللوبي الصهيوني المنظم في واشنطن لعب دوراً فاعلاً في دفع منطق المحاسبة إلى حيث هو الآن، اي الى مكتب الرئيس جورج بوش. الا ان اختزال حثيثات اقرار القانون بغالبية شاسعة، وفي كل من مجلس النواب والشيوخ، بدعم مقاومة الشعب الفلسطيني يفيد قدرأً من التذاكي يرقى إلى حد العمى، فضلاً عن كونه يجافي الحقيقة الثابتة في اكثراً من عقدين من العلاقات السورية - الفلسطينية.

لكن الانكى في هذا الخطاب البطولي انه يصعب على المسؤولين السوريين الافلات من الخطر الذي يمثله التحول الجديد في العلاقة بين دمشق وواشنطن. أصلاً، الخطاب البطولي لا يتبع ابداً ادراك هذا التحول، اذ انه يفترض عداءً أميركياً دائمأً لسوريا، فيما يعرف المسؤولون السوريون الأعلى رتبة من محري "سانا" ان العلاقة الجيدة مع الولايات المتحدة كانت احدى دعائم دبلوماسية حافظ الاسد. بل ان بعض هؤلاء المسؤولين يتغدون في الحلقات الضيقية بالصلوات التي تحفظ بها دمشق في وزارة الخارجية الأمريكية، وان تناسوا ان اعضاء ما يمكن تسميتها - بكثير من التحفظ - اللوبي السوري في واشنطن، مثل كريستوفر روس والى حد ما ادوارد جيرجيان، ليسوا في موقع التأثير على القرار الرئاسي. والحال ان الموقف السوري يتارجح بين تسخيف التهديد المتمثل بالقانون الأميركي الجديد وبين تعظيم الإنجازات "القومية" للنظام واهله، وهي التي تفسر في رأيهم اللجوء الأميركي إلى التهديد، فيضييع معنى التحول في سياسة واشنطن.

قد يتأخر الرئيس بوش في التوقيع على قانون محاسبة سوريا، وقد يذهب إلى حد الامتناع عن التوقيع حتى نهاية ولايته. وقد يصيب المسؤولون السوريون في ادعائهم ان العقوبات المنصوص عليها في القانون لن تتعكس عليهم سلباً بطريقة مباشرة ما دام الاقتصاد السوري مغلقاً على نفسه وقدراً على البقاء في حال الانغلاق إلى ما شاء الله وتحمّل عباده. لكن ايًّا من هذه الاعتبارات لا تتفق حقيقة حصول تحول في العلاقة السورية - الأميركيّة ولا تقلل من حاجة سوريا إلى التحسن ضد مفاعيله السياسية، ان لم يكن ضد انعكاساته الاقتصادية.

ذلك، لا يقلل من أهمية التحول الاقرارات بأنه ينبع أميركياً من تشنج ايديولوجي ويتسلح برهان، ايديولوجي هو الآخر، على تغيير جذري في الشرق الأوسط. على العكس تماماً، ان غلبة الایديولوجيا في دوائر القرار الأميركيّة تفسّر لماذا آلت إلى الفشل حتى الآن المحاولات السورية



لاظهار حسن النية في الكواليس، من خلال التعاون المخابراتي ضد ارهابي "القاعدة"، بينما ظل الخطاب السوري في ظاهره محكوماً هو ايضاً بتشنج ايديولوجي كالذي برز في موقف الرئيس بشار الاسد العلنية من الوضع في العراق، قبيل الحرب واثناءها وبعدها. هذا ناهيك عن كون التعيبة الایديولوجية في الولايات المتحدة تعظم من المسؤولية السورية في ضبط حركة مرور المرشحين للجهاد في اتجاه العراق، حتى وان يكن الفلتان في المنطقة الحدودية ناجم عن اتساعها والظروف الطبيعية السائدة فيها، وليس عن ارادة سورية واضحة وثابتة.

كما ان هذا الطابع الایديولوجي يؤدي الى تخلي الولايات المتحدة عن الحسابات الباردة التي كانت تحكم نظرتها الى الهمينة السورية على لبنان. ولا بد من القول في هذا المجال ان الكثير مما جاء في فقرات القانون الاميركي حول لبنان، وخصوصاً ما يتعلق منها بفقدانه حرية القرار، يبقى كلاماً حقاً، وان يكن يراد به باطل، وليس الرد

عليه باستنفار المعارضة كي تنتصر للنظام الذي لم يأل جهداً في تهميشها وقمعها.

امام طغيان الایديولوجيا في النظرة الاميركية الجديدة، تملك ربما سوريا الرسمية ان تنجاً هي الاخرى الى ممارسة ايديولوجية، كالتي لا تتوقف "سانا" عن التغني بها. وتملك ايضاً ان تبارح الایديولوجيا لاختار مقاربة واقعية براغماتية، سواء بنشرها جيشهما على الحدود مع العراق او بسحبه من لبنان، او بالاثنين معًا بحيث تضرب سرباً من العصافير بحجر واحد. لكنها بالتأكيد لا تملك ان تحافظ على الالتباس بين خطاب محکوم ببطولات "سانا" وممارسة لا تستطيع حتى "سانا" التظير لها.

سمير قصیر



Id-Reference	03-Pr-000711	
Media	(Support)	HC
Title		عمى البطولة
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date	14/11/2003	٢٠٠٣/١١/١٤
Author		سمير قصیر
Co-Author		
Keywords		
	Persons	جورج.بوش - كريستوفر.روس - بشار.أسد
	Locations	لبنان - سوريا - الولايات.متحدة - اسرائيل - واشنطن
	Dates	
	Themes	لبنان - سوريا - قانون.محاسبة.سوريا - وكالة.سانا - مقاومة.شعب.فلسطين - احتلال.اسرائيلي - كونغرس.أميركي - لوبى.صهيوني - علاقة.جديدة.بين.دمشق.و.واشنطن - حافظ.اسد - علاقات.سورية.اميركية - ارهابيين.قاعدة - وكالة."سانا" - علاقات.سوروية.فلسطينية - علاقة.دمشق.واشنطن - سوريا.مظام - حزب.بعث - شرق.أوسط - القاعدة - بشار.أسد - جهاد - هيمنة.سورية.لبنان -
Subject		